دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	نزول القرآن على سبعة أحرف
المصدر:	المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة
الناشر:	جامعة الأزهر - كلية اصول الدين والدعوة بالزقازيق
المؤلف الرئيسي:	بنداري، محمد السيد
المجلد/العدد:	ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1991
الشهر:	يوليو - محرم
الصفحات:	87 - 129
رقم MD:	210079
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	بلاغة القرآن، نزول القرآن، القراءات ، لغة القرآن، اللغة العربية، الأحرف السبعة
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/210079

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

نزول القرآن على سبعة أحرف

أ.د/ محمد السيد بندارى

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة

الحمد لله الذى تفضل علينا بنعمة الإسلام، وأرسل إلينا رسوله الخاتم بأتم كتاب وأحكم تشريع، ووضع ببعثته الإصر والأغلال، ولم يجعل علينا فى الدين من حرج ، ولم يكلفنا إلا بما نطيق ·

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، الذى جعله ربه بالمؤمنين رؤوفا رحيما، وعلى آله وأصحابه الذين آذروه وناصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ·

أما بعد ··

فهذا بحث عن نزول القرآن على سبعة أحرف، استخرت الله تعالى فى تناوله بالبحث والدراسة ، بعد البحثين الذين نشرتهما فى عددى المجلة السابقين · وكان ***الأول عن اسباب النزول، والثانى : عن نزول القرآن*** لتكمل بذلك الفائدة بالوقوف على كل مايتعلق بنزول القرآن العظيم ·

وسوف اتناول فى هذا البحث النقاط الآتية:

١ - خطورة هذا البحث وأهميته ·
٢ - نزول القرآن على سبعة أحرف من مظاهر تيسير الخالق على خلقة ·
٣ - المقصود حقيقة العدد ·
٤ - المعنى اللغوى لكلمة "أحرف" ·
٥ - أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف ·
٦ - استعراض آراء العلماء فى المقصود بالأحرف السبعة ·
٧ - أهم الآراء وموقف العلماء منها ·
٨ - نظرة فى أهم الآراء وبيان الرأى الذى نختاره ·
٩ - الأحرف السبعة ليست القراءات السبع فقط ·
١٠ - الأحرف السبعة وجه من أوجه الإعجاز القرآنى ·

١ - خطورة هذا البحث وأهميته:

مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف من المباحث البالغة الأهمية، وهو فى الوقت نفسه مبحث ليس من السهل خوض غماره، والإحاطة بكل دقائقه وأسراره، فلقد استعصى فهمه على بعض العلماء فلاذ بالفرار منه، وعدّه من المشكل، ولما كان بهذه الصفة فقد هيأ الله تعالى له جماعة من كبار المحققين فأفرووه بالتأليف قديما وحديثا، مابين العلامة المعروف بأبى شامة، فى القرن السابع الهجرى، والعلامة الشيخ محمد بخيت المطيعى فى القرن الرابع عشر.

ولما سئل ابن تيمية عن هذه المسألة قال:

هذه مسألة كبيرة قد تكلم فيها أصناف العلماء من الفقهاء والقراء وأهل الحديث والتفسير والكلام وشرح الغريب وغيرهم، حتى صنف التصنيف المفرد. ومن آخر ما أفرد فى ذلك[1] ما صنفه الشيخ ابو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم الشافعى المعروف بابن أبى شامة صاحب شرح الشاطبية[2]. ولقد حاول المبشرون والمستشرقون ان يطعنوا القرآن الكريم بسبب نزوله على سبعة أحرف، وانتحلوا الآراء الباطلة للنيل منه، ولكن العلماء الأفذاذ أظهروا زيفهم، وقدفوا بالحق باطلهم فدمغه فإذا هو زاهق، ومن هنا تظهر أهمية هذا البحث وفى هذا العصر بالذات، بعد أن جمع أعداء الإسلام كلمتهم للطعن فى أقدس مقدسات المسلمين. وأنى لهم؟. والله غالب على أمره، حافظ لكتابه، كما وعد بذلك **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**"[3].

---

(١) *أى آخر بالنسبة للزمن الذى كان فيه ابن تيمية.*

(٢) *مقدمة التفسير لأبن تيمية ص ٣٨٩.*

(٣) *سورة الحجر الآية ٩.*

٢- نزول القرآن على سبعة أحرف من مظاهر تيسير الخالق على خلقه:

لكى يجمع الله تعالى قلوب عباده على كتابه جعله أحسن الحديث، ويسره للذكر، وهذا ماجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يراجع جبريل ويستزيده، حين أقرأه على حرف واحد، روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنى جبريل على حرف، فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدنى، حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

وفى حديث أبى بن كعب عند مسلم: "إن ربى أرسل إلىّ أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فأرسل إلىّ أن أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتى، فأرسل إلىّ أن أقرأه على سبعة أحرف. وفى لفظ عنه عند النسائى : أن جبريل وميكائيل أتيانى فقعد جبريل عن يمينى، وميكائيل عن يسارى، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف.

وفى حديث أبى بكرة: فنظرت إلى ميكائيل فسكت، فعلمت أنه قد انتهت العدة. ولو أخذت القبائل كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لشق عليهم، لاختلافهم فى اللهجات، ونبرات الأصوات، وطريقة الأداء.

قال ابن الجزرى: وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإراده [illegible] ها، والتهوين عليها، شرفا لها، وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق، حيث أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم: أسأل الله معافاته ومعونته، فإن أمتى لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف.

ثم قال: وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق، أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم[1]، فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع[2].

وذكر القسطلانى أن ورود التخفيف كان بعد الهجرة، كما فى حديث أبى بن كعب "أن جبريل لقى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عند أضاة بنى غفار "بئر لهم" فقال: "إن الله يأمرك أن تقرئى أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته فإن أمتى لا تطيق ذلك" الحديث. رواه مسلم[3] ثم إن كلمة "على" فى قوله صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" تشير إلى أن المسألة على هذا الشرط من التوسعة والتيسير، أى أنزل القرآن موسعا فيه على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه، يقرأ بأى حرف أراد منها على البدل من صاحبه، كأنه قال: أنزل على هذا الشرط وعلى هذه التوسعة.

وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على سبعة أوجه، إذن تعال صلى الله عليه وسلم "إن هذا القرآن أنزل سبعة أحرف" بحذف لفظ "على"، بل المراد ماعلمت من أن هذا القرآن أنزل على هذا الشرط، وهذه التوسعة، بحيث لا تتجاوز وجوه الاختلاف سبعة أوجه، مهما كثر ذلك التعدد والتنوع فى أداء اللفظ الواحد،

---

(١) *كما فى حديث حذيفة عند الترمذى فقلت: ياجبريل إنى أرسلت إلى أمة أمية، فيهم الرجل والمرأة، والغلام والجارية، والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتابا قط. قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف.*

(٢) *الإتقان جـ١ ص ٤٥ ط/ الحلبى.*

(٣) *انظر لطائف الإشارات جـ ١ ص ٣٥ ط المجلس الأعلى بالأوقاف.*

ومهما تعددت القراءآت وطرقها فى الكلمة الواحدة، فكلمة "**مالك يوم الدين**"[1] التى ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة أو العشرة، وكلمة "**وعبد الطاغوت**"[2] التى ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة، وكلمة "**اف**"[3] التى أوصل الرمانى لغاتها الى سبع وثلاثين لغة. كل أولئك وأشباهه لا يخرج التغاير فيه على كثرته عن وجوه سبعة[4].

٣- المقصود حقيقة العدد:

ذهب جماعة منهم القاضى عياض، إلى أنه ليس المراد حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق مرادا به الكثرة فى الآحاد، كما يطلق السيعون فى العشرات، والسبعمائة فى المئين، وهذا عجيب فيما نعلمه عن القاضى عياض فإنه يتمسك بما جاء صريحا فى الصحيح من روايات الحديث، وقد جاء لفظ السبعة صريحا فى الروايات التى جاءت فى شأن نزول القرآن على سبعة أحرف.

وقد رد السيوطى هذا ردا قويا مدللا على رده بأحاديث استزادة النبى جبريل، لأن أمته لا تطيق ذلك حتى وصل العدد الى سبعة. قال السيوطى بعد أن ذكر هذه الروايات: فهذا يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره[5].

وعلى هذا فالذين يستبعدون الحصر هنا يغالون فى هجران النصوص البالغة درجة التواتر عند البعض، مع أن تواردها على عدد "السبعة" لا يعقل أن يكون

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٤.
(٢) سورة المائدة الآية ٦٠.
(٣) سورة الإسراء الآية ٢٣.
(٤) مناهل العرفان جـ ١ ص ١٤٧ بتصرف يسير.
(٥) الإتقان جـ ١ ص ٤٦.

غير مقصود، ولاسيما إذا لوحظ أن الحديث يتناول قضية ذات علاقة مباشرة بالوحى، وطريقة نزوله، وفى مثل هذه الأمور لا يلقى الرسول الخبر غامضا، ولا يذكر عددا لا مفهوم له، فما نقل عنه علماء الصحابه هذا فى شئ له بالاعتقاد صلة[1].

٤- المعنى اللغوى لكلمة "أحرف":

الأحرف جمع حرف، ويطلق الحرف على معانى كثيرة ذكرها صاحب القاموس فقال: الحرف من كل شئ طرفه وشفيره وحده، ومن الجبل أعلاه المحدد، وواحد حروف التهجى، والناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة،ومسيل الماء، وآرام سود ببلاد سليم، وعند النحاة ماجاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، "**ومن الناس من يعبد الله على حرف**"[2] اى وجه واحد وهو أن يعبده على السراء لا على الضراء، أو على شك، أو على غير طمأنينة من أمره، لا يدخل الدين متمكنا، ونزل القرآن على سبعة أحرف، سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه، وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر، ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن. اهـ بتصرف.

أما معنى هذه الأحرف فى الأصطلاح فيختلف باختلاف أراء العلماء فى بيان المقصود بها كما سنبينه بإذن الله.

٥- أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:

قال السيوطى: ورد حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة، أبى بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسلمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن أبى سلمة، وعمرو بن العاص،

---

(١) *مباحث فى علوم القرآن د/ صبحى الصالح ص ١٠٣.*

(٢) *سورة الحج الآية ١١.*

ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبى بكرة، وأبى جهم، وأبى سعيد الخدرى، وأبى طلحة الأنصارى، وأبى هريرة، وأبى أيوب. فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا، وقد نص أبو عبيد على تواتره[1].

وقد نازع البعض فى تواتر هذا الحديث، ولم ينازع أحد فى صحته. وكأن هذه الجموع التى يؤمن تواطؤها على الكذب هى التى جعلت الإمام أبا عبيد القاسم بن سلام يقول بتواتر هذا الحديث، لكنك خبير بأن من شروط التواتر توافر جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب فى كل طبقة من طبقات الرواية، وهذا الشرط إذا كان موفورا هنا فى طبقة الصحابة كما رأيت فليس موفورا فى الطبقات المتأخرة[2] وإذا لم يتوافر التواتر فى الطبقات المتأخرة فحسبنا صحة الأحاديث هذا: وقد جاءت روايات عديدة للتدليل على الأحرف السبعة نذكر منها:

١- روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

٢- وروى البخارى ومسلم واللفظ للبخارى: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره فى الصلاة، فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه أو بردائى، فقلت: من أقرأك هذه السورة؟. قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم" قلت له: كذبت فو الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرأها. فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت يارسول الله إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت

(١) *الإتقان جـ ١ ص ٤٥.*
(٢) *مناهل العرفان جـ١ ص ١٣٢.*

أقرأتنى سورة الفرقان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله ياعمر، اقرأ ياهشام، فقرأ هذه القراءة التى سمعته يقرأها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤوا ماتيسر منه.

وفى لفظ أنه سمع قراءة عمر أيضا وقال هكذا أنزلت.

٣- وروى أبو يعلى فى مسنده الكبير:أن عثمان رضى الله عنه قال يوما على المنبر: أذكَر الله رجلا سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لمّا قام، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف. فقال عثمان: وأنا أشهد معهم.

٤- وروى الإمام أحمد عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال له عمر وانما هى كذا وكذا، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا.

٥- وأخرج البخارى عن عبد الله بن سعود أنه سمع رجلا يقرأ آيةً سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها، قال: فأخذت بيده فانطلقت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: كلاكما محسن فاقرأ. قال شعبة أحد رواة الحديث: أكبر علمى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا.

٦- وفى حديث مسلم عن أبى بن كعب أنه سمع قراءة رجلين فأنكر عليهما ولما دخلوا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع قراءة الرجلين حسن شأنهما، وقال أبى: فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقد غشينى ضرب فى

صدرى ففضت عرقا، وكأنما أنظر الى الله عز وجل فرقا فقال يا أبى: أرسل إلىّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فرد إلىّ الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتى، فرد إلىّ الثالثة، اقرأه على سبعة أحرف. فقلت: اللهم اغفر لأمتى اللهم اغفر لأمتى، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلىّ الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم. والمراد بالتكذيب الذى سقط على أبي وسوسة الشيطان، ونجاه الله ببركة النبى صلى الله عليه وسلم الذى ضرب فى صدره ففاض عرقا وذهبت عنه هواجس الشيطان. والذى يظهر لى أن الله تعالى لما أذن لرسوله بالتخفيف بالقراءة على سبعة أحرف، أخذ فى الإقراء بها مباشرة ولم يجمع الصحابة فى أول الأمر ليخبرهم بالتخفيف والتيسير، وبعد فترة استمع بعضهم الى قراءة بعض فوجدوا اختلافا بينهم فى القراءة فصاروا يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه، خاصة وأن كل قارئ منهم اذا سئل يسند قراءته للنبى صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا أخذ صلوات الله وسلامه عليه يوضح لهم أن القرآن أنزل على سبعة أحرف. وفيما فعله صلى الله عليه وسلم فيما أرى فائدتان:

الأولى: أن هذا لون من ألوان التدريب العملى للصحابة أن يرجعوا فى خلافاتهم الى الله ورسوله كما أشار الى ذلك رب العالمين فى قوله: **"فإن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا"**[1].

الثانية: أن الإختلاف فى الأمر يكثر من إظهاره وإعلانه واشتهاره ويقع من النفوس موقعا يكتب له به التذكر وعدم النسيان، لا سيما بعد أن يقضى على الخلاف بحكم الله ورسوله.

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩.

ولذا حفظ هذا الحديث الجم الغفير من الصحابة الكرام، حتى لم يحصوا حين استشهد بهم عثمان كما مر فى رواية أبى يعلى. والله أعلم.

٦- استعراض آراء العلماء فى المقصود بالأحرف السبعة:

اختلف العلماء فى ذلك، وتضاربت أقوالهم، وبلغت جملة الآراء خمسة وثلاثين رأيا[١] عند بعضهم، وأربعين عند أخرين[٢].

وأكثرها لا يؤديه نقل صحيح، ولا منطق سليم، ومنشأ الخطأ فيها إرادة التعيين على سبيل القطع والجزم، مع أنه لم يأت فى معناها كما يقول ابن العربى: نص ولا أثر واختلف الناس فى تعيينها[٣] .

وسوف أذكر بعض هذه الآراء ثم أشير الى باقيها على النحو التالى:

الـــرأى الأول :

أن هذا من المشكل الذى لا يدرى معناه، ووجه الإشكال: أن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة . .الخ ولم يوجد مايحدد واحدا منها.

ويجاب عن ذلك: بأن المشترك اللفظى يدل على معناه المقصود اذا قامت قرينة تعين ذلك المعنى، والقرينة هنا سياق الروأيات الدالة على أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فإنها توضح أن المراد معنى من معانى الحرف التى ذكرناها وهو الوجه، وأن الأحرف هى الأوجه التى رجع إليها الاختلاف[٤].

---

(١) *البرهان جـ ١ ص ٢١٤ .*
(٢) *الإتقان جـ١ ص ٤٥ .*
(٣) *البرهان جـ١ ص ٢١٢ .*
(٤) *انظر مناهل العرفان جـ ١ ص١٦٥ .*

الرأى الثانى :

أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة فى الآحاد، كما يطلق السبعون فى العشرات، والسبعمائة فى المئين. وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه.

وهذا القول مردود بما سبق أن حققناه من أن المراد حقيقة العدد وتحديده.

الرأى الثالث :

أن المراد سبع قراءات، وهو محكى عن الخليل بن أحمد. وقد وصف البعض هذا الرأى بأنه أضعف الآراء، وقد رده الإمام السيوطى فقال: وتعقب بأنه لا يوجد فى القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل مثل "عبد الطاغوت" **"ولا تقل لهما اف"**[1].

الرأى الرابع :

أن المراد سبعة أوجه، فالكلمة قد تقرأ بوجه و وجّهين، أو ثلاثة أو أكثر، إلى سبعة.

ويشكل على هذا الرأى أن فى كلمات القرآن ماقرئ على أكثر من سبعة أوجه كما مر.

الرأى الخامس :

وهو رأى ابن قتيبة، أن المراد بها الأوجه التى يقع بها التغاير، وتتلخص هذه الأوجه فيما يلى:

١) ماتتغير حركته، ولا يزول معناه ولا صورته، مثل قوله تعالى: **"ولا يضار كاتب ولا شهيد"**[2] بالرفع والنصب لقوله :"يضار".

---

(١) *الإتقان جـ ١ ص ٤٦ - وانظر البرهان جـ ١ ص ٢٢٣.*

(٢) *سورة البقرة الآية ٢٨٢.*

٢) مايكون التغيير فى الفعل مثل "بعد" بالماضى ورفع "ربنا" و"باعد" بالأمر ونصب "ربنا" فى قوله: "**قالوا ربنا باعد بين أسفارنا**"[١].

٣) مايتغير باللفظ مثل "تشزها" بالراء والزاى فى قوله: "**كيف ننشزها**"[٢].

٤) مايتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل قوله تعالى: "**طلح منضود**"[٣] فقد قرئى "طلح" بالحاء المهملة والعين المهملة أيضا.

٥) مايتغير بالتقديم والتأخير، مثل قوله سبحانه: "**وجاءت سكرة الموت بالحق**"[٤]. وقرئ شاذا "وجاءت سكرة الحق بالموت".

٦) مايتغير بالزيادة والنقصان مثل: "**وماخلق الذكر والانثى**"[٥]. وقرئ "والذكر والأنثى" بحذف":وماخلق".

٧) مايتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل "**كالعهن المنفوش**"[٦] فقد قرئت ثانية "كالصوف المنفوش".

الرأى السادس :

رأى ابن الجزرى، قال: قد تتبعت صحيح القراءات وضعيفها ومنكرها فإذا هى يرجع اختلافها الى سبعة أوجه لا يخرج عنها، وذلك:

---

(١) سورة سبأ الاية ١٩.
(٢) سورة البقرة الاية ٢٥٩.
(٣) سورة الواقعة الاية ٢٩.
(٤) سورة ق الاية ١٩.
(٥) سورة الليل الاية ٣.
(٦) سورة القارعة الاية ٥.

١) إما فى الحركات بلا تغير فى المعنى والصورة مثل : "البخل" بأربعة أوجه، و "يحسب" بوجهين.

٢) أو بتغير فى المعنى فقط نحو "**فتلقى آدم من ربه كلمات**"[١] برفع لفظ "آدم" ونصب "كلمات" وبالعكس.

٣) وإما فى الحروف بتغير فى المعنى لا الصورة، نحو "تبلو" بالباء الموحدة من تحت بعد التاء و"تتلو" بتائين.

٤) وعكس ذلك "أى بتغير فى الصورة لا المعنى" نحو "بصطه" بالصاد و"بسطة" بالسين، والصراط والسراط.

٥) او تبغيرهما "أى الصورة والمعنى" نحو "فامضوا" "فاسعوا".

٦) وإما فى التقديم والتأخير نحو "**فيقتلون ويقتلون**"[٢] بفتح ياء المضارعة مع بناء للفاعل فى إحدى الكلمتين، وضمها مع بناء الفعل للمفعول فى الكلمة الآخرى.

٧) أو فى الزيادة والنقصان نحو "أوصى" و "وصى".

"فهذه سبعة لا يخرج الخلاف عنها"[٣].

الرأى السابع :

رأى ابن الطيب الباقلانى فيما يحكيه القرطبى عنه يقول: تدبرت وجوه الاختلافات فى القراءة فوجدتها سبعا. وهى:

---

(١) *سورة البقرة الاية ٣٧.*
(٢) *سورة التوبة الاية ١١١.*
(٣) *الإتقان جـ ١ ص ٤٦ مع تصرف يسير.*

١) ماتتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل "**هن اطهر لكم**"[١] بإسكان الراء وضمها، و "يضيق صدرى"[٢] بإسكان القاف وضمها.

٢) ومنها مالا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب مثل "**ربنا باعد بين اسفارنا**" بصيغه الماضى والطلب.

٣) ومنها ماتبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل "ننشزها" بالراء والزاى.

٤) ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه مثل "كالعهن المنفوش" و "كالصوف المنفوش".

٥) ومنها ما تتغير صورته ومعناه مثل "وطلح منضود" و "وطلع منضود".

٦) ومنها التقديم والتأخير مثل "وجاءت سكرة الموت بالحق" و "وجاءت سكرة الحق بالموت".

٧) ومنها الزيادة والنقصان مثل "له تسع وتسعون نعجة"[٣] و "له تسع وتسعون نعجة أنثى".

الرأى الثامن :

رأى أبى الفضل الرازى ويتلخص فى أن الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه فى الاختلاف وهى:

---

(١) سورة هود الآية ٧٨.
(٢) سورة الشعراء الآية ١٣.
(٣) سورة ص الآية ٢٣.

١) اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، كقوله تعالى: "**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**"[١] فقد قرئت كلمة "أماناتهم" بالجمع والإفراد.

٢) اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، مثل قوله تعالى "**قالوا ربنا باعد بين أسفارنا**" بالأمر والماضى.

٣) اختلاف وجوه الإعراب، مثل قوله تعالى: "**ذو العرش المجيد**"[٢] يرفع المجيد صفة لكلمة "ذو" والجر صفة لكلمة "العرش".

٤) الاختلاف بالنقص والزيادة، كقوله تعالى: "**وماخلق الذكر والانثى**" بحذف "وماخلق" وبإثباتها.

٥) الاختلاف بالتقديم والتأخير، كقوله تعالى: "**وجاءت سكرة الموت بالحق**" وجاءت سكرة الحق بالموت.

٦) الاختلاف بالإبدال كقوله تعالى: "وانظر إلى العظام كيف تنشزها" بالزاى والراء.

٧) اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك.

وآراء ابن قتيبة وابن الجزرى وابن الطيب والرازى. بينها تقارب وسوف يكون لنا معها موقف نوضحه بعد عرض كل الآراء بإذن الله.

---

(١) *سورة المؤمنون الآية ٨.*
(٢) *سورة البروج الآية ٨٥.*

القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال" الحديث أخرجه أبو عبيد وغيره. لكن قال ابن عيد البر: هذا حديث لا يثبت، لأنه من رواية ابى سلمة بن عيد الرحمن عن ابن مسعود، ولم يلق ابن مسعود، وقد رده قوم من أهل النظر منهم : أبو جعفر بن أبى عمران[1].

والقائلون بأصناف الكلام يختلفون فى تعيين هذه الأصناف، وفى أسلوب التعبير عنها إلى آراء تكمل بها العدة أربعين قولا:

فمنهم من يقول إنها:

أمر ونهى، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه وأمثال، كما ذكرناه.

ومنهم من يقول إنها:

وعد ووعيد، وحلال وحرام، ومواعظ وأمثال واحتجاج.

ومنهم من يقول إنها:

محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخصوص وعموم، وقصص.

ومنهم من يقول إنها:

لفظ عام أريد به العام، ولفظ خاص أريد به الخاص، ولفظ عام أريد به الخاص، ولفظ خاص أريد به العام، ولفظ يستغنى بتنزيله عن تأويله، ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء، ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون فى العلم.

ومنهم من يقول إنها:

إظهار الربوبية، وإثبات الوحدانية، وتعظيم الألوهية، والتعبد لله ومجانبة الشرك، والترغيب فى الثواب، والترهيب من العقاب.

---

(١) *لطائف الإشارات للقسطلانى جـ ١ ص ٤٣.*

الرأى العاشر :

رأى أبى عبيد وثعلب والزهرى وآخرون، واختاره ابن عطية، وصححه البيهقى فى الشعب، وهو : أن المراد سبع لغات من لغات العرب. ثم اختلفوا فى تحديدها على أقوال منها:

١) **هى لغات** : قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.
٢) **هى لغات** : قريش ، وهذيل ، وتميم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر،وقيل غير ذلك.

قال أبو عبيد: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات مفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوزان، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم. وبعض اللغات اسعد به من بعض وأكثر نصيبا[1].

وقد اعترض على هذا الرأى أيضا بأن لغات العرب أكثر من ذلك كما سنبين.

الرأى الحادى عشر:

المراد كيفية النطق بالتلاوة، من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة وإشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق.

وبالنظر فيما ذكره أصحاب هذا الرأى نراهم عدوا أكثر من سبعة أوجه.

الرأى الثانى عشر:

أن المراد سبعة أصناف من الكلام.

واحتجوا بحديث ابن مسعود "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، ونزل

(١) *المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧.*

الرأى التاسع :

رأى سفيان بن عينية، وابن جرير ، وابن وهب ، ونسبه ابن عيد البر لأكثر العلماء. وهو : أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة، نحو أقبل وتعال وهلم وعجل وأسرع وقصدى ونحوى.

وقد استدل أصحاب هذا الرأى بأدلة وصفها السيوطى: بأن أسانيدها جياد، منها مارواه أحمد من حديث ابن عمر "إن القرآن كله صواب، مالم تجعل مغفرة عذابا وعذابا مغفرة". قال السيوطى : قال ابن عيد البر: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التى نزل القرآن عليها، إنها معانى متفق مفهومها مختلف مسموعها، لا يكون فى شئ منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافا ينفيه ويضاده، كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضده، ثم اسند عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ "كلما أضاء لهم مشوا فيه"[1] مروا فيه، سعوا فيه. وكان ابن مسعود يقرأ "**للذين آمنوا انظرونا**"[2] أمهلونا أخرونا. قال الطحاوى: إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد، لعدم علمهم بالكتابة والحفظ. وكذا قال ابن عيد البر، والباقلانى، وآخرون.

وفى فضائل أبى عبيد من طريق عون بن عبد الله: أن ابن مسعود أقرأ رجلا "**إن شجرة الزقوم طعام الاثيم**"[3] فقال الرجل : طعام اليتيم . فردها عليه فلم يستقم بها لسانه، فقال : أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟. قال: نعم ، قال : فافعل[4].

ومع أن هذا قول أكثر العلماء كما قيل إلا أن عليه مآخذ سنوضحها بعد عرض الآراء بإذن الله.

---

(١) *سورة البقرة الآية ٢٠.*
(٢) *سورة الحديد الآية ١٣.*
(٣) *سورة الدخان الآية ٤٢ ، ٤٣.*
(٤) *الإتقان جـ ١ ص ٤٧.*

ومنهم من يقول إنها:

المطلق والمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والناسخ والمنسوخ والاستثناء وأقسامه.

ومنهم من يقول إنها:

الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والاستعارة، والتكرار والكناية، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والقريب.

ومنهم يقول سوى ذلك كله، غير أنها من هذا الطراز، أو من طراز ماسبق فى الأقوال الأخرى، حتى أكمل بعضهم عدة الأقوال أربعين قولا[1].

التعقيب على هذه الآراء

عقب العلماء على هذه الآراء تعقيبات كثيرة نذكر منها:

١- **قال ابن حجر:** ذكر القرطبى عن ابن حيان أنه بلغ الاختلاف فى معنى الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولا، ولم يذكر القرطبى منها سوى خمسة، ولم أقف على كلام ابن حبان فى هذا، يعد تتبعى مظانه، قال السيوطى: قلت: قد حكاه ابن النقيب فى مقدمة تفسيره عنه بواسطة الشرف المزنى المرسى[2].

٢- وبعد أن نقلها السيوطى عن ابن النقيب بالواسطة قال: قال ابن حيان فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة فى معنى إنزال القرآن على سبعة

---

(١) *مناهل العرفان* جـ ١ ص ١٧٥.

(٢) *الإتقان* جـ١ ص ٤٨.

أحرف، وهى أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة، ومحتمل غيرها، وقال المرسى: هذه الوجوه أكثرها متداخلة، ولا أدرى مستندها، ولا عمن نقلت، ولا أدرى لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر، مع أن كلها موجودة فى القرآن، فلا أدرى معنى التخصيص، ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة، وأكثر معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الذى فى الصحيح[1] وهو يقصد بكلامه الآراء التى تتحدث عن أصناف الكلام. وأنت تدرك معى مدى ضعف هذه الأقوال ونحوها من الآراء السقيمة التى ما أنزل الله بها من سلطان، كهذا الرأى الذى يفسر الأحرف السبعة بسبعة علوم هى: علم الانشاء والاتحاد، وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم صفات العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات[2].

أو هذا الرأى المنسوب الى الصوفية وهو: أن المراد بالأحرف السبعة سبعة انواع من المعاملات، الزهد والقناعة مع اليقين، والحزم والخدمة مع الحياء والكرم، والفتوة مع الفقر والمجاهدة، والمراقبة مع الخوف والرجاء، والتضرع والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة، والمحبة والشوق مع المشاهدة[3].

٣- وقد رد الشيخ الزرقانى على مجموع هذه الآراء حول أصناف الكلام وثوجز رده فيما يلى:

أولا : أن سياق الأحاديث السابقة لا ينطبق على هذه الأقوال بحال، فإن هذه الأصناف التى عينوها لا يتأتى الاختلاف فيها بسبب

---

(١) *المرجع السابق جـ ١ ص ٤٩.*
(٢) *البرهان جـ ١ ص ٢١٩.*
(٣) *الإتقان جـ ١ ص ٤٨.*

القراءة، والاختلاف الذى نقلته الروايات السابقة إنما كان بسبب القراءة، فتعين أن يكون مرجعة التلفظ، وكيفية النطق، لا تلك الأصناف والأنواع التى سردوها.

ثانيا: أنه لا يوجد لهم سند صحيح يدل على حصر الأحرف السبعة فيما بينوه، ومايكون لنا أن نقبل رأيا لا دليل عليه.

ثالثا: أن التوسعة فى نزول القرآن على سبعة أحرف لا تتحقق فيما ذكروه من تلك الأصناف والأنواع.

رابعا: أن بعض تلك الآراء زادت على السبعة فيما ذكرته من الأصناف والأنواع.

خامسا: أن أكثر هذه الأقوال يتداخل بعضه فى بعض، ويشبه بعضه بعضا، فمن المتعسر اعتبارها أقوالا مستقلة[1].

وقد علق السيوطى على هذا الرأى فقال:

وقد أجاب عنه قوم بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التى تقدم ذكرها فى الأحاديث الأخرى، لأن سياق تلك الأحاديث يأبى حملها على هذا، بل هى ظاهرة فى أن المراد أن الكلمة تقرأ على وجهين وثلاثة إلى سبعة تيسيرا وتهوينا، والشئ لا يكون حلالا وحراما فى آية واحدة.

---

(١) *مناهل العرفان* جـ ١ ص ١٧٦ بتصرف.

وقال ابن عطية:

هذا القول ضعيف، لأن التوسعة لم تقع فى تحريم حلال، ولا تحليل حرام، ولا فى تغيير شئ من المعانى المذكورة.

وقال الماوردى:

هذا القول خطأ، لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل حرف من الحروف، وإبدال حرف بحرف، وقد أجمع على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام[1].

وقد حاول البعض أمثال أبى على الأهوازى والهمدانى الابتعاد بهذا الحديث الذى استدل به على هذا الرأى عن الأحرف السبعة، فقالوا إن قوله: زاجر الخ كلام مستأنف، أى هو زاجر، ولم يرد به تفسير الأحرف السبعة.

وعلى ذلك يصبح هذا الرأى وماتبعه لا أساس له، ولا دليل عليه. ولكن بقى أن نقول: لم ذكروا حديثا لا يثبت وأقاموا كل هذا من حوله؟.

٧- اهم الآراء وموقف العلماء منها:

عرضنا عليك الآراء التى ذكرها العلماء لبيان المقصود بالأحرف السبعة، ووقفت على حال أكثرها، وأنها آراء هزيلة ضعيفة، وعلينا الآن ان نبين حال الآراء الأخرى، والتى لها وزن عند كثير من العلماء، وهى أهم الآراء فى الموضوع، وهذه الآراء على النحو التالى:

---

(١) *الإتقان* جـ ١ ص ٤٨.

الرأى الأول:

وهو الذى نسبه ابن عبد البر إلى أكثر العلماء، وهو أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل وتعال وهلم وعجل وأسرع . .الخ.

ومع نباهة شأن القائلين به وهم جمهور أهل الفقة والحديث، فقد توجهت إليه جملة من الانتقادات منها:

١ - قد يفهم البعض من هذا جواز قراءة القرآن بالمعنى، وإذا نظرنا الى بعض أدلتهم نجد أنه قد يفهم منها هذا، كالرواية التى اوردها الطيرى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ياعمر إن القرآن كله صواب، مالم تجعل رحمة عذابا، أو عذابا رحمة[١].

ومن هنا أخذ المستشرقون يلوحون بأخطر نظرية فى الحياة الإسلامية، وهى القراءة بالمعنى، تلك النظرية التى أسلمت النص القرآنى إلى هوى كل شخص يشبته على مايهواه[٢].

وقد أنكر ابن الجزرى القراءة بالمعنى ورد على قائليها فقال: أما من يقول: إن بعض الصحابة كابن سعود، كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه، إنما قال: نظرت إلى القراء فوجدتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم[٣].

٢ - إن ماذكر فى الأحاديث التى استشهد بها أصحاب هذا الرأى، ليس من قبيل حصر الأحرف السبعة فيها، وفى نوعها وحده، حتى يصح الأستدلال بها

---

(١) *انظر الطبرى جـ ١ ص ١٠.*
(٢) *انظر مباحث فى علوم القرآن د/ صبحى الصالح ص ١٠٧.*
(٣) *محاسن التأويل للقاسمى جـ ١ ص ١٦٨.*

على ماذهبوا إليه، بل هو كما قال ابن عبد البر: من قبيل ضرب المثل للحروف التى نزل القرآن عليها، وأنها معانى متفق مفهومها مختلف مسموعها لايكون فى شئ منها معنى وضده.

وكيف يكون المراد حصر الأحرف السبعة فيما ذكروه، على حين أنه يرجع الى بعض نوع من أنواع الاختلاف، وهو إبدال كلمة بأخرى على شرط الترادف، وهذا بعض ذاك، فأين يذهبون بتلك الوجوه الأخرى وهى باقية الى اليوم فى القراءات المتواترة المكتوبة بين دفتى المصحف؟[1].

٣ - ترتب على هذا الرأى قول أصحابه: إن الباقى من الأحرف السبعة حرف واحد، وهو حرف قريش، وقد ذهبت بقية الأحرف، مع أنه لا دليل على نسخها أو رفعها.

وإنا نربأ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكونوا قد وافقوا أو فكروا فى ضياع أحرف القرآن الستة، دون نسخ لها، وحاشا عثمان أن يكون قد أقدم على ذلك وتزعمه.

وكيف ينسب إليه هذا، والمعروف أنه نسخ المصاحف من الصحف التى جمعت على عهد أبى بكر رضى الله عنه، قبل أن يدب النزاع فى أقطار الإسلام، بسبب اختلاف حروف القراءة فى القرآن، فكانت تلك الصحف محتملة للأحرف السبعة جميعا، وموافقة لها جميعا، ضرورة أنه لم يحدث وقتئذ من النزاع والشقاق مايدعو الى الاقتصار على حرف واحد، ولم يثبت أن الصحابة تركوا من الصحف المجموعة على عهد أبى بكر حرفا واحدا، فضلا عن ستة أحرف، ولو كان ذلك لنقل إلينا متواترا، لأنه مما تتوافر الدواعى على نقله تواترا. ثم كيف يفعل عثمان هذا وهو الذى عرف ان علاج الرسول صلى الله عليه وسلم لمثل هذا النوع الذى دب فى زمانه كان يجمع الناس وتقريرهم على الحروف السبعة لايمنعهم عنها كلا أو بعضا.

---

(١) مناهل العرفان جـ ١ ص ١٦٨.

ولنفرض جدلا أن النزاع فى عهد عثمان رضى الله عنه قضى عليه أن يجمع المسلمين على حرف واحد، فلماذا لم يكتب بقية الأحرف للتاريخ لا للقراءة؟.

مع أن الضرورة تقدر بقدرها، وهذه الستة الأحرف لم تنسخ لا تلاوة ولا حكما حتى تذهب بجرة قلم. على حين أن الصحابة حفظوا للتاريخ آيات نسخت تلاوتها وأحكامها، وحفظوا لنا قراءات شاذة كتب لها الخلود إلى اليوم وإلى مابعد اليوم.

ثم إن من عرف تحمس الصحابة لدينهم، واستبسالهم فى الدفاع عن حمى القرآن يستبعد كل البعد، بل كل الإحالة، أن يكونوا قد فعلوا ذلك أو أقل من ذلك.

وانظر الى موقف عمر من هشام، وموقف هشام من عمر، وكذلك أبى وابن مسعود من صاحبيهما، وتأمل كيف أبى كل واحد من هؤلاء أن يتنازل عن قراءة سمعها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمها إياه، ثم أقرهم رسول الله صلى اله عليه وسلم على استمساكهم هذا وأن كلا منهم مصيب[1].

٤ - ثم إن هذا الرأى يقول إن الحرف الباقى حرف قريش، وقد ثبت أن القرآن فيه ألفاظ كثيرة ليست من لغة قريش، أو حتى لغة أهل الحجاز، وقد أفرد السيوطى لهذا "النوع السابع والثلاثين" من الجزء الأول من الإتقان وقال: رأيت فيه تأليفا مفردا".

وتذكر بعضا من الأمثلة التى أوردها فى هذا الشأن فمن ذلك:

---

(١) المرجع السابق بتصرف.

ماجاء من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قولة تعالى: "**وانتم سامدون**"[1].

قال: الغناء وهى يمانية. وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة هى الحميرية، وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال: كنا لا ندرى ما الأرائك حتى لقينا رجل من أهل اليمن، فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير.

وعن الضحاك فى قوله تعالى: "**اعصر خمرا**"[2] قال: عنبا بلغة أهل عمان، يسمون العنب خمرا.

وعن أبى صالح فى قوله تعالى: "**افلم ييأس الذين آمنوا**"[3].

قال : أفلم يعلم بلغة هوازن، إلى غير ذلك وهو كثير.

قال : ابو بكر الواسطى: فى القرآن من اللغات أربعون لغة، لغة قريش، وهذيل، وكنانة، وخثعم، والخزرج، وأشعر، ونمير، وقيس غيلان، وجرهم، وأزدشنوءة، وكندة، وتميم، وحمير، ومدين، ولخم، وسعد العشيرة، وحضر موت، وسدوس، والعمالقة، وأثمار، وغسان، ومدحج، وخزاعة، وعطفان، وسبأ، وعمان، وبنو حنيفة، وتعلب، وطى، وعامر بن صعصعة، وأوس، ومزيثة، وثقيف، وجذام، وبلى، وعذرة، وهوازن، والنمر واليمامة[4].

الرأى الثانى :

الذى ذهب إليه أبو عبيد وثعلب والزهرى وآخرون، وهو أن المراد سبع لغات من لغات العرب.

---

(١) سورة النجم الاية ٦١ .
(٢) سورة يوسف الاية ٣٦ .
(٣) سورة الرعد الاية ٣١ .
(٤) الإتقان جـ ١ ص ١٣٣ .

وإذا كنا فى الاختلاف فى اللهجات لا نجد إلا نوعا فى صفات الأداء فى اللفحظ الواحد، ففى اختلاف اللغات نجد أحيانا تباينا بين لفظ وآخر فى موضوع واحد، ولو أمكننا حصر اللغات العربية المختلفة هذا النوع من الاختلاف فى سبع لا تزيد ولا تنقص، وقبل منا هذا الحصر . . لكانت هذه اللغات السبع هى الأحرف السبعة من غير ماحاجة الى الجدل العقيم[1].

ولكن الخلاف حول المراد بهذه اللغات موجود فالبعض يراها لغات قريش، وهذيل، وتميم، وأزد، وربيعة، وهوزان، وسعد بكر.

وآخرون يرونها قبائل مضر خاصة وهى: هذيل، وكنانة، وقيس، وضبة، وتميم الرباب، وأسد بن خذيمة وقريش. إلى غير ذلك من الآراء وغير يعيد منك مانقلته لك عن ابى بكر الواسطى: من أن القرآن فيه من لغات العرب أربعون لغة. ومذكره السيوطى: فى النوع السابع والثلاثين من الإتقان مما جاء فى القرآن من لغات غير لغة قريش.

هـــذا: وقد استبعد ابن عيد البر أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات: "لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض فى أول الأمر" لأن ذلك من لغته التى طبع عليها، وأيضا فإن عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم كلاهما قرشى، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته"[2].

الرأى الثالث الى السادس:

رأى ابن قتيبة: وهو أن المراد الأوجه التى يقع بها التغاير وينحوه أو قريب

---

(١) *مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٥ د/صبحى صالح.*

(٢) *البرهان جـ١ ص ٢١٩ .*

منه قال ابن الجزرى، وابن الطيب الباقلانى، وأبو الفضل الرازى. وقد عرضنا عليك ماذكره كل إمام من هؤلاء الأئمة فى أثناء عرض الآراء. فارجع إليه إن شئت.

وهذه الآراء الأربعة يذهب بعض الجهابذة الى القول بالاتحاد بينها، ويجعل الخلاف لفظيا لا حقيقيا، حتى لقد ذهب ابن حجر الى أن مذهب الرازى هو مذهب ابن قتيبة بعد تنقيحة وتهذيبه، فقال مانصه: وقد أخذ - اى الرازى - كلام ابن قتيبة ونقحه[1] ولكن التعبير الأدق فيما يبدو لى: أن بين هذه الآراء تقارب لا تطابق، فإن ثلاثة من هذه الآراء هى رأى ابن قتيبة، وابن الجزرى، وابن الطيب، أى ماعدا الرازى، لم تتعرض لاختلاف اللهجات كالفتح والإمالة، والتفخيم والترقيق . .الخ.

وقد أخذ ذلك عليهم ولذا علق القسطلانى على رأى ابن قتيبة فيما نقله عن النشر فقال: على أنه فاته كما فات غيره أكثر أصول القراءات، كالإدغام والإظهار والإخفاء، والإمالة والتفخيم وبين وبين، والمد وبعض أحكام الهمزة، وكذلك الروم والإشمام على اختلاف أنواعه اهـ[2] بل إن ابن قتيبة وابن الجزرى يصرحان أن اختلاف اللهجات لا يدخل فى الأحرف السبعة، يقول ابن قتيبة: وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتخفيف والتسهيل، ونحو ذلك فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فى اللفظ والمعنى، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا[3].

ويقول ابن الجزرى:

وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام، والروم الإشمام والتخفيف والتسهيل،

---

(١) *مناهل العرفان* جـ ١٥١.

(٢) *الإشارات* جـ. ص٤١.

(٣) *الإتقان* جـ ١ ص ٤٦.

والنقل والإبدال، فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فى اللفظ والمعنى، لإن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا[1].

والواقع أن اختلاف اللهجات أمر يقع به التغاير بين القراءات، ويمكن أن يكون مثار نزاع بين القراء إذا لم يعلموا أن هذا راجع الى الأحرف السبعة. ثم إن التيسير على الأمة لا يتحقق كاملا إلا بحسبان اختلاف اللهجات، بل هذا قد يكون أولى بالحسبان، لأنه قد يسهل على الإنسان أن ينطق بكلمة ليست من لغته فى جوهرها، ولا يسهل عليه أن ينطق بكلمة من لغته نفسها بلهجة غير لهجته.

بل إن بعض العلماء لعظم هذه المسألة جعل الوجوه السبعة منحصرة فى اللهجات لا غير. ومن العجيب أن نرى كلاما لابن قتيبة وابن الجزرى الذين قالا ماسبق يعترفان فيه صراحة بأن اختلاف اللهجات داخل فى التيسير على هذه الأمة.

قال ابن قتيبة فى كتاب المشكل مانصه:

كان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرئ كل أمة - يقصد جماعة من الناس كالقبيلة - بلغتهم، وماجرت به عادتهم.

فالهذلى يقرأ "عتى حين" يريد "حتى حين" هكذا يلفظ بها ويستعملها - اى يقلب الحاء عينا فى النطق - **والأسدى يقرأ** "يِعلمون" "يِعلم" و "يِسود وجوه" "ألم إعهد" - بكسر حرف المضارعة فى ذلك كله. **والتميمى يهمز، والقرشى لا يهمز**، والآخر يقرأ "قيل لهم" "وغيض الماء" بإشمام الضم مع الكسر، و"بضاعتنا ردت إلينا" بإشمام الكسر مع الضم. "مالك لا تأمنا" بإشمام الضم مع الإدغام.

---

(١) *الإتقان* جـ ١ ص ٤٦.

ثم قال: ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته، وماجرى عليه اعتياده، طفلا ويافعا وكهلا، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولا يمكن إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل اللسان، وقطع المعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا فى اللغة، ومتصرفا فى الحركات، كتيسيره عليهم فى الدين. اهـ.

ويقول ابن الجزرى:

هذا يقرأ "عليهم فيهم" بضم الهاء، والآخر يقرأ "عليهمومنهمو" بالصلة، وهذا يقرأ "قد افلح" و "قل اوحى" "وإذا خلوا الى شياطينهم" بالنقل. والآخر يقرأ "موسى وعيسى" بالإماله وغيره يلطف، وهذا يقرأ "خبيرا بصيرا" بترقيق الراء، والآخر يقرأ " الصلاة والطلاق" بالتفخيم الى غير ذلك[1].

فالمتأمل لكلام هذين الإمامين يدرك بلا تعب اعترافهما بالقيمة الكبيرة لاختلاف اللهجات، وأنها مظهر من مظاهر التيسير، ومع ذلك لم يعدا ذلك من الحروف السبعة.

ومن جهة أخرى: نجد شيئا من الاختلاف فى أسلوب كل إمام من هؤلاء الأئمة فى استقراء أوجه الاختلاف، وتدرك ذلك عند مقارنة آرائهم ببعضها.

والواقع ان أتم هذه الآراء الأربعة هو رأى أبى الفضل الرازى، وقد أيده ورجحه علماء أفاضل مثل الشيخ محمد بخيت المطيعى، والشيخ الخضرى الدمياطى، والشيخ الزرقانى.

ومع ذلك توجهت إليه عدة اعتراضات، وتنسحب بالتالى على آراء الأئمة الثلاثة الآخرين. ونذكر منها:

---

(١) *مناهل العرفان* جـ ١ ص ١٦٥.

ثم إنه جعل اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر وجها خاصا قائما برأسه، مع أنه يندرج تحت وجه الاختلاف فى الإعراب[1].

٨- نظرة فى أهم الآراء وبيان الرأى الذى نختاره:

وضح لنا بعد ماذكرناه حول أهم الآراء، أنه مامن رأى منها إلا وله مؤيدون، وله معارضون معتقدون، إلا أننا نجد من بين هذه الآراء رأيين لهما ثقل أكثر وهما: رأى أكثر العلماء كما قيل، ورأى الرازى.

وأنصار كل رأى منهما بذلوا من الدفاع عما اختاروا الشئ الكثير. وعند مطالعةٍ رد كل منهما على الآخر لا يخلو القارئ من ميل لكثير مما قرأه، إلا أنه لا يسلّم بكله. كما تدرك ذلك عند مطالعة المآخذ التى أوردناها سابقا.

والنفس أميل الى أن الحروف السبعة هى سبعة أوجه يرجع إليها الأختلاف وإن كان استقراء الرازى عليه بعض المآخذ كما رأينا، فقد قام بعض الباحثين حديثا بعملية استقراء جديدة لأوجه الإختلاف، بحيث يتجنب هذه المآخذ التى أخذت على مارأه الرازى، وتتلخص هذه الوجوه فى سبعة أوجه من التغاير نوجزها مما كتبه الدكتور صبحى الصالح على النحو التالى:

الوجه الأول: الإختلاف فى وجوه الإعراب سواء تغير المعنى أم لا ، فمما تغير فيه المعنى مثل قوله تعالى: "**فتلقى آدم من ربه كلمات**"[2] فقد قرئ برفع آدم ونصب كلمات، وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات. ومما لا يتغير فيه المعنى مثل قوله تعالى: "**ولا يضار كاتب ولا شهيد**"[3]. فقد قرئ "يضار" بالرفع والنصب.

---

(١) *انظر مباحث فى علوم القرآن ص ١١٦ د/ صبحى الصالح.*

(٢) *سورة البقرة الآية ٣٧.*

(٣) *سورة البقرة الآية ٢٨٢.*

واحد، حيث رأى أن القراءة بالأحرف السبعة كانت لرفع الحرج والمشقة فى بداية الأمر، وقد انتهت الحاجة الى ذلك، وترجع عليها حسم مادة الاختلاف فى القراءة، بجمع الناس على حرف واحد، ووافقه الصحابة على ذلك، فكان إجماعا.

ولم يحتج الصحابة فى أيام أبى بكر وعمر الى جمع القرآن على وجه ماجمعه عثمان، لأنه لم يحدث فى أيامهما الخلاف فيه ماحدث فى زمن عثمان. وبهذا يكون عثمان قد وفق لأمر عظيم، رفع الاختلاف، وجمع الكلمة، وأراح الأمة[1].

ويمكن القول: إن القراءة على سبعة أحرف كانت رخصة للتيسير، فإذا ترتب عليها مضرة الاختلاف ترجع إلى الأصل، وهو حرف قريش، الذى نزل به القرآن، وكانت به العرضة الأخيرة.

والمحافظة على القرآن تتحقق بجمعه على حرف واحد، لأن القراءة على الأحرف السبعة كانت للتخيير، ولم تكن للإلزام، فإذا قرئ بحرف واحد وهو أجمعها وأوفاها فإننا نكون محافظين على القرآن جامعين له.

٣- ووجه الى رأى الرازى أيضا: أنه لم يعرض قط الى وجه الاختلاف فى الحروف، نحو "يعلمون" بالياء و"تعلمون" بالتاء مع أنه لا يندرج تحت واحد من الأوجه الستة الباقية التى ذكرها[2].

---

(١) *علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ١٥٥ ومابعدها بتصرف يسير.*

(٢) *أى الأوجه الستة التى اشترك فيها مع المقارين له فى الرأى. وقد انفرد باللهجات.*

١- أنه يستشهد على الأوجه التى ذكرها، وكذلك الأئمة الثلاثة، بأدلة منها قراءات آحاد، ولاخلاف فى أن ماهو قرآن يجب أن يكون متواترا.

٢- وأصحاب هذا الرأى يرون أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، بمعنى أنها مشتملة على مايحتمله رسمها من هذه الحروف، فآية "**والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون**" التى تقرأ بصيغة الجمع، وتقرأ بصيغة الإفراد، جاءت فى الرسم العثمانى "**لامـنتهم**" موصولة وعليها ألف صغيرة. وآية "**فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا**" جاءت فى الرسم العثمانى "**بـعد**"موصولة كذلك وعليها ألف صغيرة، وهكذا. وهذا لا يسلم لهم فى كل وجه من وجوه الاختلاف التى يذكرونها، كالاختلاف بالزيادة والنقصان فى مثل قوله تعالى: "**واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار**" وقرئ "**من تحتها**" وقوله: "**وماخلق الذكر والانثى**" وقرئ "**والذكر والانثى**" بنقص "**وماخلق**".

والاختلاف بالتقديم والتأخير مثل قوله تعالى: "**وجاءت سكرة الموت بالحق**" وقرئ شاذا "**وجاءت سكرة الحق بالموت**".

والاختلاف بالإبدال فى مثل قوله تعالى: "**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**" وقرئ "**كالصوف المنفوش**".

ولو كانت هذه الأحرف تشتمل عليها المصاحف العثمانية لما كان مصحف عثمان حاسما للنزاع فى اختلاف القراءات، إنما كان جسم هذا النزاع بجميع الناس على حرف واحد، ولولا هذا لظل الاختلاف فى القراءة قائما، ولما كان هناك فرق بين جمع عثمان وجمع أبى بكر.

والذى دلت عليه الآثار أن جمع عثمان رضى الله عنه كان نسخا له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى يجمع المسلمين على مصحف

الوجه الثاني : الاختلاف فى الحروف إما بتغير المعنى دون الصورة، وهو مايعبر عنه أحيانا بالاختلاف فى النقط، مثل "**يعلمون وتعلمون**" بالياء والتاء. وإما بتغير الصورة دون المعنى مثل "**الصراط والسراط**" بالصاد والسين.

الوجه الثالث : اختلاف الأسماء إفرادا وتثنية وجمعا، وتذكيرا وتأنيثا، مثل "**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**" قرئ أماناتهم بالجمع وقرئ بالإفراد.

الوجه الرابع : الإختلاف بإبدال كلمة بكلمة يغلب أن تكون إحداهما مرادفة للأخرى، وإنما تتفاوتان بجريان اللسان بإحداهما لدى قبيلة دون أخرى، كقوله تعالى: "**كالعهن المنفوش**". وقرى "**كالصوف المنفوش**".

أو يكون بين الكلمتين تقارب فى المخرج يسمح بالتناوب بينهما، كقولة تعالى "**وطلح منضود**"[1] فقد قرئت كلمة طلح بالحاء وبالعين. ويلاحظ أن مخرج العين والحاء واحد وهو الحلق فهما أختان تتعاقبان.

الوجه الخامس : الإختلاف بالتقديم والتأخير فيما يعرف وجه تقديمه أو تأخيره فى لسان العرب العام، أو فى نسق التعبير الخاص، كقوله تعالى: "**فيقتلون ويقتلون**"[2] قرئى ببناء الفعل الأول للفاعل والثانى للمفعول، وقرئ بعكس ذلك. ففى الحرف الأول يسرع المؤمنون إلى قتل الأعداء، وفى الثانى: كأنما يتلهفون الى ساحة المعركة تلهفا لعل الله أن يرزقهم الشهادة.

---

(١) *سورة الواقعة الآية* ٢٩ .

(٢) *سورة التوبة الآية* ١١١ .

فإذا اختلفت صياغة التعبير بالتقديم والتأخير فإن مؤدى الحرفين ما انفك واحدا لم ينله شئ من التغيير.

إما قراءة "وجاءت سكرة الحق بالموت" و "إذا جاء فتح الله والنصر" فقراءة شاذة.

الوجه السادس: الاختلاف يشئ يسير من الزيادة والنقصان جريا على عادة العرب فى حذف أدوات الجر والعطف تارة وإثباتها تارة أخرى، ولذلك لم تحفظ هذه الضروب من الزيادة والنقص إلا فى أحرف قليلة محدودة، مع التنبيه على شذوذ كل مالم يحفظه الأئمة الثقاة منها فمن الزيادة قوله تعالى: "وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار" فقد قرئ متواتر أيضا "من تحتها" بزيادة حرف الجر "من" وقد جاءت مثبتة فى المصحف المكى، ولم تكتب فى غيره من المصحف الإمام كما فى الإتقان.

ومن النقص قوله تعالى: "**قالو اتخذ الله ولدا**"[1] فقد قرئ بحذف الواو، وذلك كما فى رسم المصحف الشامى، كما فى الإتقان أيضا. وأما قراءة "كل سفينة صالحة" و "الذكر والأنثى" ونحوهما فقراءة شاذة.

الوجه السابع : اختلاف اللهجات فى الفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، وكسر حرف المضارعة، وقلب بعض الحروف، وإشباع ميم الذكور، وإشمام بعض الحركات. من ذلك قوله تعالى: "**وهل اتاك حديث موسى**"[2] "**بلى قادرين**

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٦.

(٢) سورة طه الآية ٨.

على ان نسوى بنانه"[1] قرئ بإمالة "أنى" و "موسى" و "بلى" نحو الكسر.

وقلوه تعالى "**خبيرا بصيرا**"[2] بترقيق الراءين، و "الصلاة" و "الطلاق" بتفخيم اللامين، وقوله "**قد افلح**"[3] يترك الهمزة ونقل حركتها من أول الكملة الثانية الى آخر الكلمة الأولى.

وقوله "**يعلمون**" "تعلم" "وتسود" ألم أعهد" بكسر حرف المضارعة فى جميع هذه الأفعال، وقوله: "حتى حين" الهذليون يقليون الحاء عينا، وقوله: "**عليهمو دائرة السوء**"[4] "**ومنهمو من يلمزك فى الصدقات**"[5]، بإشباع ميم جميع الذكور، وقوله: "**وغيضَ الماء**"[6] بإشمام ضمة الغين مع الكسر.

والحق أن هذا الوجه الأخير أهم الأوجه السبعة، لأنه يبرز الحكمة الكبرى من إنزال القرآن على سبعة أحرف، ففيه تخفيف وتسير على هذه الأمة، التى تعددت قبائلها، واختلفت بذلك لهجاتها. وتباين أداؤها لبعض الألفاظ، فكان لابد أن تراعى لهجاتها وطريقة نطقها[7].

---

(١) سورة القيامة الآية ٤.
(٢) سورة الإسراء الآية ١٧.
(٣) سورة المؤمنون الآية ١.
(٤) سورة الفتح الآية ٦.
(٥) سورة التوبة الآية ٥٨.
(٦) سورة هود الآية ٤٤.
(٧) مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٩ بتصرف.

وهذا الأستقراء جمع محاسن الآراء الأربعة: ابن قتيبة وابن الجزرى وابن الطيب والرازى وحذف منها وزاد عليها، ورتب وهذب، ولم يستشهد إلا بالمتواتر من القراءات، ولم يستدل بقراءة الأحاد كما فعل من سبقه من هؤلاء الأئمة. ومن محاسن هذا الرأى: أنه ضم فى داخله رأي أكثر العلماء فى النوع الرابع منه.

وكون الأحرف السبعة باقية فيما يحتمله رسم المصحف العثمانى هو الأولى فى نظرى إذ لا دليل قاطع على حذفها، لا سيما وقد رأينا أن المصحف العثمانى اختلفت نسخه فى إثبات وحذف بعض الكلمات، فقد أثبت حرف الجر "من" فى قوله تعالى: **"واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار"** من سورة التوبة فى المصحف المكى كما ذكره السيوطى، وحذفت الواو فى قوله تعالى: **"وقالوا اتخذ الله ولدا"** من سورة البقرة فى المصحف الشامى. كما رأيناه سابقا. وهذا لا يطعن فى أن عثمان قضى على النزاع وجمع الناس على قراءة واحدة لأنه رسم المصحف بحيث يحتمل كل الأحرف فيما يحتمله رسمه، وأرسل مع كل مصحف أحد القراء، ليقرئى الناس بما يحقق الأتفاق وعدم الخلاف. فكان هذا القارئ يقرئى الناس بما يحقق ذلك. والقراءة لابد فيها من التلقى ولا تكفى القراءة فى المصحف وهذا الرأى حين استقرأ أوجه الاختلاف لا يعنى وجوب التزام هذه الأوجه فى الكملة الواحدة، فقد يكون فى كل كلمة على حدة وجهان أو أكثر، وقد يكون فيها وجه واحد فقط، وإنما تقصد أن هذه الأوجه السبعة تُرد الاختلافات إلى أحد وجوهها المناسبة حين يتحقق وجود الاختلاف[1].

بقى لنا أن نجيب على ماقد يطرأ على ذهن البعض لماذا لم يرد لنا عن الصحابة الكرام مايوضح لنا المراد بالأحرف السبعة، وكيف لم يستقرئوا أوجه الاختلاف؟.

والجواب عن ذلك: أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أكثرهم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وماكان يتاح لهم أن يحددوا المراد من الأحرف السبعة،

---

(١) *أنظر البرهان جـ ١ ٢٢٣.*

وإنما كانوا يعرفون أن أوجه الخلاف لا تخرج عن سبعة فى جميع مفردات القرآن، وقد اجتمت عمليا من مختلف قراءاتهم التى أقرهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهى العلم بها إلينا أحرف القرآن السبعة، التى لم نعرفها نحن إلا بطريق الأستنباط والاستقراء[1] فهم إذن كانوا يعرفونها عمليا، وإن كانوا لا يعرفونها بالضرابط التى توصلنا اليها، كما كانوا ينطقون مفردات اللغة سليمة من كل لحن، ولم يكونوا يعرفون أن الفاعل هو الأسم المرفوع المسبوق بالفعل ونحوه كما كانوا يقرأون القرآن مرتلا أحسن ترتيل، ولم يكونوا يعرفون قواعد علم التجويد بالقيود التى وضعت بعد ذلك، فلم يعرفوا أن النون الساكنه والتنوين إذا وقع بعدهما الهمزة والهاء، والعين والحاء والغين والخاء. فهو الإظهار الحلقى، وكانوا يخرجون كل حرف من مخرجه ولا يعرفون مبحث مخارج الحروف بالطريقة التى وضعت بعد ذلك وهكذا. ***والله اعلم.***

٩- الأحرف السبعة ليست هى القراءات السبع فقط:

بعد أن حاولنا الوصول الى المراد بالأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن الكريم يلزمنا أن نبين أن الأحرف ليس هى القراءات السبع لا غير، وقد سبق أن رددنا مانسب الى بعض العلماء كالخليل بن أحمد من أن المراد بالأحرف سبع قراءات. وذكرنا أن هذا أضعف الآراء، وأنه غير صحيح، وتزيد الأمر توضيحا لأن من العوام من يزغم أن القراءات السبع هى تلك الحروف التى نزل عليها القرآن فقط، يقول ابن تيمية فى الرد على هذا الزعم: لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست هى قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر ابن مجاهد، وكان على رأس «المائة الثالثة ببغداد، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام، إذ هذه الأمصار الخمسة هى التى خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره، والحديث والفقة . . . فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار، ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التى

---

(١) *انظر مباحث فى علوم القرآن ص ١١٦.*

أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هى الأحرف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم، ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا أن ابن مجاهد سبقنى الى حمزة لجعلت مكانة يعقوب الحضرمى إمام جامع البصرة، وإمام قراء البصرة فى زمانه فى رأس المائتين(١).

وليت ابن مجاهد لم يحصر القراءات فى سبع، منعا للوقوع فى هذا الالتباس الذى يقع فيه العامة ونحوهم ممن لم يأخذوا من علوم القرآن والحديث مايوضح لهم وجه الحق فى هذا الأمر.

ويرد على هذا الزعم بأمرين:

أحداهما: أن الأحرف التى نزل بها القرآن أعم من تلك القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة، ذلك لأن الوجوه التى أنزل الله عليها كتابة تنتظم كل وجه قرأ به النبى صلى الله عليه وسلم وأقرأه أصحابه، وذلك ينتظم القراآت السبع المنسوبة الى هؤلاء الأئمة السبعة، كما ينتظم مافوقها إلى العشرة، ومابعد العشرة، وماكان قرآنا ثم نسخ ولم يصل الى هؤلاء القراء جميعا.

ثانيهما: أن السبعة لم يكونوا خلقوا حين نطق الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث الشريف، وبين العهدين بضعة قرون، وعلى حين أن هؤلاء القراء وسواهم إنما أخذوا عن النبى صلى الله عليه وسلم من طريق أصحابه، ومن أخذ عنهم، إلى أن وصلوا إليهم، ويستلزم القول بهذا أن يبقى قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" عاريا عن الفائدة، غير

(١) *مقدمة التفسير لابن تيمية ص ٣٩.*

نافذ الأثر حتى يولد القراء السبعة المعروفون، وتؤخذ القراءة عنهم وذلك باطل يكذبه الواقع من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وقراءة أصحابه وتابعيهم بالأحرف السبعة من قبل أن يولد القراء السبعة[1].

١٠ - الأحرف السبعة وجه من أوجه الإعجاز القرآنى:

إذا كان قد وضح لنا أن الأحرف السبعة هى سبعة أوجه متغايرة فى قراءة القرآن فإن هذا يؤكد عظمة هذا الكتاب الكريم، ويظهر لنا وجها من أوجه إعجازه العديدة، فإنه قد تألفت كلماته من حروف لوسقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر، لكان ذلك خللا بينا، أو ضعفا ظاهرا فى نسق الوزن وجرس النغمة، وفى حسن السمع، وذوق اللسان، وفى انسجام العبارة، وبراعة المخرج، وتساند الحروف وإفضاء بعضها الى بعض، ولرأيت إلى ذلك هجنة فى السمع، كالذى ينكره على كل مرئى لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تتفق على طبقاتها، وخرج بعضها طولا وبعضها عرضا، وذهب مابقى الى جهات متناكره.[2]

ومع هذا ينزله الله تعالى على سبعة أحرف فيها تغاير بالزيادة والنقصان، واختلاف اللهجات، وترادف الكلمات، واختلاف الأسماء إفرادا وتثنية وجمعا، والأفعال من طلب الى ماض . .الخ. تلك الأوجه التى سقناها فيما مضى. وقد رأينا أن تغيير حرف واحد من كلمة فى القرآن لم ينزل به الوحى، يفسد المعنى، ويذهب بالجمال، وروعة البلاغة والبيان. أما الله تعالى فيغير بأوجه كثيرة، والمعنى فى عليائه، والبلاغة فى سمائها، وقمة ارتفاعها، أفلا يدل ذلك على أن هذا القرآن العظيم من عند الله، وأنه فوق مستوى البشر، لا يمكن لأحدهم أو لجميعهم ومعهم الجن متعاونين متآذرين أن يحاكوه أو يدانوه، وما ذلك إلا لأنه معجز ودائم الإعجاز الى يوم الدين، إن نزول القرآن على سبعة أحرف وإن كان

---

(١) *مناهل العرفان بإختصار ص ١٨٤.*

(٢) *إعجاز القرآن للرافعى مبحث الحروف وأصواتها ص ٢٨. بتصرف.*

مظهرا من مظاهر تيسير الخالق على خلقه، فإنه مع ذلك تحد للعرب جميعا قاصيهم ودانيهم، كل فى حرفه ولسانه، وقد فتح الله تعالى بذلك باب التحدى على مصراعية، وسهل الطريق أمام العرب جميعا، إذ لم تعد هناك قبيلة، أو فرد فى قبيلة، إلا ويستطيع النطق بالقرآن.

فهو يطالبهم أن يأتوا بمثل سورة واحدة منه، وعلى نمط أى حرف واحد من حروفه السبعة، لا كل حروفه، فهل استطاع أحد منهم ذلك؟. والإجابة لا. لأن القرآن العظيم معجز من أى جهة ذهبت إليه منها. وقد أظهرت هذه الأحرف السبعة عجز العرب أجمعين عن تحدى القرآن كما تحداهم، ولم يسعهم فى آخر الأمر الا الاعتراف بالحق واللحاق بركب الإيمان، والدخول فى دين الله أفواجا.

والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.